

الأمثل في تفسير كتاب الأ المنزل

[456] مزاعمهم المضحكة الباطلة، فتقول: (وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسلنا) كأن الوصول إلى مقام النبوة وهداية الناس يعتمد على سن الشخص وماله، أو هو ميدان للمنافسة الصبانية بين القبائل! وكأن على أن يراعي هذه الأمور المضحكة الباطلة التي لا تدل إلا على منتهى الإ انحطاط الفكري وعدم إدراك معنى النبوة وقيادة الخليفة! إن القرآن يرد على هؤلاء بوضوح قائلاً: (أأعلم حيث يجعل رسالته). بديهي أن الرسالة لا علاقة لها بالسن ولا بالمال ولا بمراكز القبائل، لأن شرطها الأول هو الإ استعداد الروحي، وطهارة الضمير، والسجايا الإنسانية الأصيلة، والفكر السامي، والرأي السديد ثم التقوى إلى درجة العصمة ... إن هذه الصفات، وخصوصاً الإ استعداد لمقام العصمة لا يعلم بها غيرنا، فما أبعد الفرق بين هذه الشروط وما كان يدور بخلد أولئك. كما إن من خلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا بد أن تكون له جميع تلك الصفات عدا الوحي والتشريع، أي أنه حامي الشرع والشرعة، والحارس على قوانين الإسلام، والقائد المادي والمعنوي للناس، لذلك لا بد له أن يكون معصوماً عن الخطأ والإثم، لكي يكون قادراً على أن يوصل الرسالة إلى أهدافها، وأن يكون قائداً مطاعاً وقدوة يعتمد عليها. وبناءاً على ذلك، يكون إختياره مننا أيضاً، فهو وحده الذي يعلم أين يضع هذا المقام، فلا يمكن أن يترك ذلك للناس ولا للإ انتخابات والشورى. وفي النهاية تشير الآية إلى المصير الذي ينتظر أمثال هؤلاء المجرمين والزعماء الذين يدعون الباطل، فتقول: (سيمص الذين أجرموا صغار عندنا وعذاب شديد بما كانوا يمكرون)(1). 1

– "الإ جرام" من "جرم" وأصله القطع، والمجرم هو الذي يقطع العهود وإرتباطة بانعدام إطاعته، ولذلك أطلقت كلمة "الجرم" على الإثم والذنب، في هذا إشارة لطيفة إلى أن هناك في ذات الإنسان إتفاق مع الحق والطهارة والعدالة، والإ جرام هو قطع هذه الإتفاق الفطري الإلهي.